الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

ديوان لا تعتذر عمّا فعلت لـ: ''محمود درويش'' دراسة فنية تحليلية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتان:
*- بوقـــاسة سهـــام
*-علـــيوش عبيـــر

إشراف الأستاذ :
طـــارق بوحالـــة

السنة الجامعية: **2014/2013**

دعاء

سألتك ربي يا سامع الدعاء ورافع السماء....

ودائم البقاء وواسع العطاء....ومن في اسمه دواء....

وذكره شفاء وطاعته هناء.....أن ترفع عنّا كل بلاء....

وتدفع عنّا كل شقاء.....وأن تحيينا حياة السعداء.....

وأن تكتب لنا من كل داء شفاء....وأن ترزقنا عيش الكرماء....

وأن تحمينا من غدر السفهاء....وأن تحشرنا مع الصدّقين

والأنبياء.

شكر وعرفان

الشكر لله – سبحانه وتعالى – أولا وأخيرا، الذي منّ علينا وأعاننا على إنهاء المذكرة على هذه الصورة.إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة.....

إلى.....جميع أساتذتنا الأفاضل، وأخص بالتقدير والشكر.....

الأستاذ

'' طارق بوحالة''

الذي كان لنا خير العون والسند.....ونورا يضيء الظلمة التي كانت تقف أحيانا في طريقنا

فأسأل الله أن يجعله معينا لا ينضب عطاؤه.....ونهلا لا يجف إمداده ..... وأن يسدد خطاه في تقديم أنبل رسالة

جزاه الله خيرا وإحسانا

عبير / سهام

اهداء

أول حمد نحمده للذي تتم به الصالحات، وأعظم شكر للذي سجدت له الكائنات....الذي لولاه ما كانت الموجودات.....المعين على الصعوبات.....المليّن للعقبات.

إلى منارة العلم.....إلى الأمي الذي علّم المتعلمين.....إلى سيد الخلق ومصطفاه ''محمد صلى الله عليه وسلم''

إلى من سعى وشقى.....إلى من أضاء في ذاتي وهج الطموح....إلى أبي العزيز.

إلى سندي.....قوتي....إلى ملاذي بعد الله تعالى.....إلى بسمة الحياة

إلى من كان دعاءها سر نجاحي.....إلى أغلى الحبايب

أمي الحبيبة: ''باني بنور''

إلى من حبهم يجري في عروقي رغم كل شيء إخوتي أسامة، مريم، أمينة، طارق، منذر،

إلى... ابنة عمي نهى، إلى... أعمامي وأخوالي....

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة.....إلى النفوس البريئة....إلى... رياحين حياتي هاجر، هبة الرحمن، ميسم.

إلى من سأفتقدهم... إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أفقدهم صديقاتي، إلى من علموني حروفا من ذهب...وكلمات من ذرر...إلى أساتذتي الكرام.

عبيـــــــر

اهداء

إلى القلب الكبير الذي شملني بعطفه والذي تحمل مشاق الحياة من أجل أن يوفر لي الراحة والسعادة والأمل...، إلى من كان قدوتي في الحياة.....إلى أبي العزيز.

إلى أغلى هبات الله التي حملتني وهنا عل وهن وسهرت الليالي لراحتي....أمي الغالية

إليكما يا والداي – حفظكما الله – أهدي ثمرة جهدي.

إلى منبع ابتسامتي وشموع دربي إخوتي الأحباء: ''أسماء، آسيا ، راضية''

إلى الأقرب من قلبي والأعز إلى أخوالي وأعمامي.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع

سهـــام

مقدمـــــة

مقدمة:

يعد "محمود درويش" – شاعر المقاومة الفلسطينية – من أكثر الشعراء المعاصرين الذين أشبعت دراساتهم بالدراسة والتحليل، وهذا راجع إلى الإنتاج الغزير الذي تولده قريحته الشعرية وإلى كونه أيضا من المقامات الشعرية التي تركت أثرا كبيرا في الشعر العربي المعاصر، وذلك من خلال دواوينه العديدة التي مزج فيها بين جمال اللغة ورونقها من جهة وحب الوطن من جهة أخرى مستمدا كل ذلك من "الواقع" الذي يعتبر مادة خاما لأشعاره.

أمّا عن سبب اختيارنا لهذا الموضوع فيعود لسببين اثنين الأوّل: مكانة "محمود درويش" الشعرية وأثره في الحياة الأدبية والثقافية العربية. والسبب الثاني: الخصوصية الشعرية التي يتميز بها شاعرنا خاصة في استحضاره للرموز وتوظيفها في شعره،

فما هي أبرز الخصائص الفنية لشعر "محمود درويش" في ديوانه "لاتعتذر عمّا فعلت"؟

أمّا عن المنهج المتبع في دراسة هذا الموضوع هو المنهج "الفني التحليلي" وهذا بغية استخلاص الخصائص الفنية لشعر الديوان.

وقد اتبعنا في هذا البحث خطة جاءت كالتالي:

الفصل الأول: تناولنا فيه: ميلاد الشاعر وتعليمه وحياته، إضافة إلى أهم الجوائز والتكريمات التي حظي بها، ثم مؤلفاته الشعرية والنثرية على حد سواء ووفاته، ثم معلومات الديوان: الطبعة، دار النشر، بلد النشر، سنة النشر.

أمّا الفصل الثاني: الذي بعنوان دراسة في الشعرية فتناولنا فيه ثلاث عناصر هي: شعرية اللغة، شعرية الموسيقى، شعرية الصورة. وقد اعتمدنا في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع التي نذكر منها: كتاب الرمز في الشعر العربي لناصر لوجيشي، وكتاب: النقد الأدبي لمحمد غنيمي هلال، وكتاب الأسس الجمالية في النقد العربي لعز الدين اسماعيل.

وأخيرا الخاتمة التي أردناها أن تكون عبارة عن نتائج لأهم الخصائص التي تمتاز بها الكتابة الشعرية عند "محمود درويش"، وقد واجهتنا العديد من الصعوبات والعراقيل لعل أبرزها ندرة ومحدودية الدراسات في ديوان "لاتعتذر عمّا فعلت".

نرجو في الأخير من الله تعالى أن يسهم بحثنا هذا المتواضع الذي لا يخلو من نقائص وعيوب، في الكشف عن حقائق قد تكون خفية عن الكثيرين، وأن يكون خالصا لوجه الله الكريم.

الفصل الأول:

1/ محمود درويش:

أ-ميلاده

ب- تعليمه

ج- حياته

د- جوائزه وتكريماته

هـ- مؤلفاته

و- وفاته

2/ عرض ديوان " لا تعتذر عما فعلت "

1/ محمود درويش:

أ- ميلاده:

يعد محمود درويش الابن الثاني لعائلة تتكون من خمسة أبناء وثلاث بنات، ولد سنة 1941 بقرية البروة، وهي قرية فلسطينية تقع قرب ساحل عكة، مكانها اليوم قرية أحيهود، تبعد عن شرق ساحل عكا ب 12.5 كلم.
وفي عام 1948 لجأ درويش رفقة عائلته الى لبنان وكان عمره آنذاك لم يتجاوز السابعة من عمره، بقي هناك عام واحدا، ليعود بعدها متسللا الى فلسطين وبقي في قرية " دير الأسد " (شمال بلده مجد كروم في الخليل) لفترة قصيرة استقر بعدها في قرية الجديدة (شمال غرب قريته الأم البروة).[1]

ب- تعليمه:

بدأ محمود درويش تعليمه الابتدائي في فلسطين، ثم انتقل الى لبنان لعام واحد ليعود بعدها الى فلسطين من أجل إتمام تعليمه الابتدائي في مدرسته " دير الاسد " متخفيا، فقد كان يخشى أن يتعرض للنفي من جديد إن اكتشف أمر تسلله، فعاش تلك الفترة محروما من الجنسية.[2]
أما فيما يخص تعليمه الثانوي فقد تلقاه في قرية " كفر ياسيف " (2 كلم شمالي الجديدة) فدرس بها اللغة العربية والانجليزية وكذا العبرية، كان محمود درويش تلميذا متفوقا موهوبا في الرسم إلى جانب الشعر ولكنه أهمل موهبته في الرسم وذلك لسبب بسيط: لكونه لا يملك مالا كافيا لشراء أدوات الرسم.

1- محمود الشيخ : الشعر و الشعراء، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع عمان، الأردن، ط4، 2007، ص39.

2- المرجع نفسه ، ص39.

ج- حياته:

بدأت موهبة كتابة الشعر تظهر عند محمود درويش وهو في المرحلة الابتدائية (سن السابعة من عمره)، وكبرت معه هذه الموهبة في المرحلة الثانوية، لتصبح حياته " عبارة عن كتابة الشعر والمقالات في صحيفة الحزب الشيوعي الإسرائيلي مثل: الاتحاد والجديد التي أصبح فيما بعد مشرفا على تحريرها، كما اشترك في تحرير جريدة الفجر".[1]

كان محمود درويش عرضة لمضايقات الاحتلال الإسرائيلي بسبب ميوله ونشاطه السياسي، حيث اعتقل مرارا، فكانت المرة الأولى سنة 1961 حيث انتقل من قريته " الجديدة " فكان اعتقال البوليس الإسرائيلي له في مسكنه بدون سبب ، أما المرة الثانية فكانت سنة 1965 حيث سافر "محمود درويش" من "حيفا" الى "القدس" للمشاركة في أمسية شعرية بدون تصريح فسجن ستين يوما، وفي سنة 1969 سجن لمدة عشرين يوما.

" وفي عام 1972 توجه محمود درويش إلى الاتحاد السوفياتي للدراسة، ليتوجه بعد ذلك إلى القاهرة بصفته لاجئا من نفس العام، أين التحق هناك بمنظمة التحرير الفلسطينية*، لينتقل إلى لبنان ليعمل في مؤسسات النشر والدراسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، حيث ترأس مركز الأبحاث الفلسطينية، كما شغل منصب رئيس تحرير مجلة شؤون فلسطين ليؤسس سنة 1980 مجلة " الكرمل الثقافية ببيروت".[2]

1- محمد نمر مصطفى: محمود درويش-الغائب الحاضر، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص10.

*منظمة التحرير الفلسطينية: منظمة سياسية شبه عسكرية، معترف بها في الأمم المتحدة و الجامعة العربية كممثل شرعي و وحيد للشعب الفلسطيني داخل و خارج فلسطين.

2- محمد نمر مصطفى: محمود درويش-الغائب الحاضر ،ص 11.

وفي عام 1988 انتخب درويش في اللجنة التنفيذية كعضو في منظمة التحرير الفلسطينية، وبعدها مستشار للرئيس "ياسر عرفات" ليستقيل سنة 1993 من اللجنة التنفيذية احتجاجا على اتفاقية أوسلو*.

سافر محمود درويش الى باريس وبقي هناك سنة واحدة، فشغل آنذاك منصب رئيس رابطة الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ليعود بعدها الى فلسطين بتصريح من السلطات الإسرائيلية لزيارة أمه.

د- **جوائزه وتكريماته:**

تحصل "محمود درويش" على مجموعة من الجوائز والتكريمات منها:

- **جائزة لوتس سنة 1969.**
- **جائزة البحر المتوسط سنة 1980.**
- **جائزة درع الثورة الفلسطينية 1981.**
- **جائزة لوحة أوروبا للشعر 1981.**
- **جائزة ابن سينا في الاتحاد السوفياتي 1982.**
- **جائزة لينين في الاتحاد السوفياتي 1983.**

---

* اتفاقية أوسلو: اتفاقية سلام وقعتها إسرائيل و منظمة التحرير الفلسطينية بالعاصمة الأمريكية واشنطن يوم 13 سبتمبر 1993 بحضور كل من الرئيس "بيل كلينتون" و سمي الاتفاق نسبة إلى مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرية.

- جائزة الإبداع في تونس 2000.
- جائزة الأمير كلاوس الهولندية 2004.
- جائزة الشعر العربي بالقاهرة 2007.

كما كان آخر تكريم " لمحمود درويش" يوم 27 يوليو 2008 حين أعلنت وزارة الاتصالات الفلسطينية عن إصداراتها لطابع بريدي يحمل صورة " محمود درويش "[1]

هـ- مؤلفاته:

لمحمود درويش العديد من المؤلفات الشعرية والنثرية، أما المؤلفات الشعرية نجد:

- عصافير بلا أجنحة 1960.
- أوراق الزيتون 1964.
- عاشق من فلسطين 1966.
- آخر الليل 1967.
- العصافير تموت في الجليل 1967.
- حبيبتي تنهض من نومها 1970.

1- محمود نمر مصطفى: محمود درويش-الغائب الحاضر، ص15.

- **احبك أو لا احبك 1972.**
- **محاولة رقم 7 1973.**
- **مديح الظل العالي 1983.**
- **حصار لمدائح البحر 1984.**
- **ورد أقل 1986.**
- **هي أغنية..... هي أغنية 1986.**
- **أرى ما أريد 1990.**
- **لماذا تركت الحصان وحيدا 1995.**
- **لا تعتذر عما فعلت 2004.**
- **كزهر اللوز أو أبعد 2005.**
- **أثر الفراشة 2008.**
- **أنت منذ الآن غيرك 2008.**
- **مطر ناعم في خريف بعيد.**
- **شيء عن الوطن.**
- **بطاقة هوية.**
- **سيناريو جاهز[1].**

أما المؤلفات النثرية التي عرف بها درويش نذكر:

- **ذاكرة النسيان.**
- **وداعا أيها الحرب وداعا أيها السلم.**
- **في حضرة الغياب.**
- **يوميات الحزن العادي "خواطر وقصص" [2].**

و- وفاته:

توفي محمود درويش في الولايات المتحدة الأمريكية يوم السبت 9 أغسطس أوت 2008، بعد إجراءه لعملية القلب المفتوح التي دخل بعدها في غيبوبة أدت إلى وفاته، بعد ان قرر الأطباء نزع أجهزة الإنعاش.

نزل خبر وفاة "محمود درويش" كالصاعقة على الشعب الفلسطيني خاصة والأمة العربية عامة، فأعلن رئيس السلطة الفلسطينية "محمود عباس" الحداد لمدة ثلاثة أيام لأفي كافة التراب الفلسطيني[3].

1- محمود نمر مصطفى: محمود درويش-الغائب الحاضر، ص17.

2-المرجع نفسه،ص18.

3- المرجع نفسه، ص24.

شـهدت مدينـة رام الله تشـييع الشـاعر درويـش فـي أجـواء رسـمية وشـعبية سـادها الحـزن واستحضـر فيهـا الجميـع كـل الأبعـاد التـي ظـل الراحـل يمثلهـا، وقـد شـارك فـي مراسـم التشـييع الـرئيس الفلسـطيني " محمـود عبـاس " وعشـرات مـن المسـؤولين وكبـار الشخصـيات السياسـية والأدبيـة، كالشـاعر "سـميح القاسـم" وعـدد مـن أفـراد الراحل كشقيقه الأكبر "أحمد".

2/ عرض ديوان لا تعتذر عمّا فعلت:

صدر ديوان لا تعتذر عمّا فعلت " لمحمود درويش" في طبعتين:

الطبعة الأولى كانت في كانون الثاني/ يناير 2004، أمّا الطبعة الثانية فصدرت في شهر شباط/ فبراير من نفس السنة ببيروت.

جاء الديوان في مائة وسبعين(170) صفحة، ضم أكثر من خمسين قصيدة، مقسّم الى ستة أغصان من شجرة الزيتون، يانعة حباتها... نأكلها حبة حبة، نتذوّق طعمها ونستمتع بلذتها وهي كالتالي:

- الغصن الأوّل: في شهوة الإيقاع:

يختارني الإيقاع، عندما نتذوقها نشعر بإيقاع الذاكرة يهزّنا والشاعر في الغياب، هديل الحمام، صدى الأشياء، دمع الكلام الصامت ينساب على خد الصبايا[1]

يختارني الإيقاع، يشرق بي

أنا رجع الكمان، ولست عازفه

أنا في حضرة الذكرى

صدى الأشياء تنطق بي

فأنطق....

كلّما أصغيت للحجر استمعت إلى

1- محمد الكلاف: قراءة في ديوان "لا تعتذر ما فعلت"، 7 جانفي 2014، http://www.alnoor.se/article

هديل يمامة بيضاء

أخي أنا أختك الصغرى

فاذرف باسمها دمع الكلام.....[1]

- الغصن الثاني: طريق الساحل:

يقف على رصيف القصيدة كالغريب، يساءل أناه: أي الطريق تؤدي إلى أرض العشق المقدس، حيث لا ذئاب تهاجم الضباء ولا ضباب يحجب وجه السماء؟.... أرض جمعت على الحب كلّ الأنبياء.

طريق الصعود إلى شرفات السماء

[وأعلى وأعلى، وأبعد]

طريق النزول إلى أوّل الأرض

[إن السماء رمادية]

.....

طريق السّلام المتوّج بالقدس

[بعد انتهاء الحروب الصليبية الأقنعة]

.....

1- محمود درويش: لا تعتذر عمّا فعلت، رياض الريس للكتب والنشر بيروت،لبنان، ط2، فبراير، 2004، ص15.

طريق الإخاء المخاتل

[بين الغزال وصيّاده][1]

– الغصن الثالث: لا كما يفعل السائح الأجنبي:

يشهر أبيات شعره الحادة في محاولة لصدّ الذئب عن ليلى، حين سقطت على العشب تتحسّس، ألوان الطيف بين ثناياه، يرمم بقصائده قبب الكنائس المهجورة والمآذن المكسورة

مشيت على ما تبقى من القلب،

صوت الشمال.....

ثلاث كنائس مهجورة،

.....

وفتاة على العشب تقرأ ما

يشبه الشعر، لو كنت أكبر،

لو كنت أكبر، لاستسلم الذئب لي

.....

ثلاث كنائس مهجور

مآذن مكسورة،

1- محمود درويش: لا تعتذر عمّا فعلت، ، ص126،127.

سنديان على الجانبين،

قرى كنقاط على أحرف محيت

وفتاة على العشب تسأل طيفا: [1]

- الغصن الرابع: بيت من الشعر/ بيت الجنوبي:

يبني من شعره أهراما يودع بين دهاليزها بقصائد فرعونية محنّطة...مركبا يمتطي على متنه...صهوة النيل في رحلته البحث عن"أمل" منفلت من ذاكرة الغياب[2]

شاعر شاعر من سلالة أهل

الخسارة، وابن وفي لريف المساكين

.....

قلت: وماذا عن الروح؟

قال: ستجلس قرب حياتي

فلا شيء يثبت أنّي ميت

ولا شيء يثبت أنّي حي

ستحيا كما هي

1- المرجع السابق، ص 133، 136،137.

2- محمد الكلاف: قراءة في ديوان "لا تعتنا فعلت"، 7 جانفي 2014،

http://www.alnoor.se/article

حائرة آسفة.....[1]

- الغصن الخامس: كحادثة غامضة:

« هنـاك.....علـى شـاطئ المتاهـة الشـعرية، حيـث جلـس يقاسـم صـديقه جمـال الكلمـة....كـؤوس الغوايـة.....وأثينـا رابضـة ترقـب حميميتهمـا..... مـن فـرط الثمالة..... سأل صديقه عن الشعر.»[2]

قلت: ما الشعر؟.....ما الشعر في

أخر الامر؟

قال: هو الحدث الغامض، الشعر

يا صاحبي هو ذلك الحنين الذي لا

يفسّر، إذ يجعل الشيء طيفا وإذ

يجعل الطيف شيئا ولكنه قد يفسّر

حاجتنا لاقتسام الجمال العمومي.....[3]

1- محمود درويش: لا تعتذر عمّا فعلت، ص146،144.

2- محمـــد الكـــلاف: قـــراءة فـــي ديـــوان "لا تعتـــذر عمّـــا فعلـــت"، 7 جـــانفي 2014، http://www.alnoor.se/article

3- محمود درويش: لا تعتذر عمّا فعلت، ص153.

– الغصن السادس: ليس للكردي الاّ الريح:

« يتّخذ من الغياب ملجأ يلقي بجسده المثقل بالذكريات المتبينة، يكتب وصية الرياح المسافر في مجاز الكلمة، يستسلم للنوم علّى يسترجع الحلم الذي سلته من تحت رموش عينيه زمجرة الدبابات، يزكم أنفاسه دخّان الحرائق، ويضيع الحلم في مهب الرياح.»[1]

كان يخاطب المجهول: يا ابني الحر!

يا كبش المتاه السّرمدي.إذا رأيت

أباك مشنوقا فلا تنزله عن حبل

السماء، ولا تكفّنه بقطن نشيدك

الرعوي لا تدفنه يا بني فالرياح

وصيّة الكردي للكردي في منفاه،[2]

لم يكن "محمود درويش" ليخضع للإحباط أبدا.....يحارب بقوة قلمه، بحسه.....بحدسه .....يتكلم لغة معاناة الفلسطينيين حتى صار رسول القصيدة المتمردة وعبدا لها.

شعر درويش بمثابة قنابل موقوتة تقتل دون موت، لكنها تقتل أنانية الآخر العدو الإسرائيلي، فكانت بذلك حربا كلامية بين عدو لا يعرف إلاّ منطق الرصاص وشاعر لا يتقن الدفاع عن النفس إلا بالقرطاس.

1- محمد الكلاف: قراءة في ديوان "لا تعتذر عمّا فعلت"، 7 جانفي 2014، http://www.alnoor.se/article

2– محمود درويش: لا تعتذر عمّا فعلت، ص163.

الفصل الثانـي:

ديوان لا تعتذر عمّا فعلت: دراسة شعرية

1/ شعرية اللغة:

- التكرار اللفظي

2/ شعرية الموسيقى:

أ- الإيقاع

ب- القافية

ج – الوزن

3/ شعرية الصورة:

أ- التشبيه

ب- الاستعارة

ج – الرمز

د- القناع

هـ- الأسطورة

تمهيد:

لقد شغلت الشعرية دارسي النقد الأدبي قديما و حديثا، إذ يعد "أرسطو" (384-322 ق.م) أوّل من تناول في كتابة "فن الشعر" هذا الموضوع النقدي، مبينا مجالات الشعر التي تتجسد في النص الأدبي بكل مكوناته اللغوية والصوتية والدلالية.

كما حظيت الشعرية باهتمام من قبل "عبد القاهر الجرجاني" (ت 471هـ) في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، « إذ حاول الجرجاني تناول الظاهرة الأدبية ومعاينتها بعيدا عن التنظير، حيث ركّز على البعد التحليلي واكتناه النص الأدبي من خلال مجالاته اللغوية وأبعاده الدلالية»[1]

وقد استمرّ الدارسون المعاصرون بتناول الشعرية، أمثال كل من: "ريتشاردز" A.Richards في كتابه معنى المعنى، "تودوروف" T.Todorov في بحثه عن الشعرية و "ياكبسون" R.Jakobson في الوظيفة الشعرية و "موكاروفسكي" mukarovs-ky في تناوله للغة الشعرية.

وقد أجمعت معظم الدراسات النقدية المعاصرة على أن الشعرية هي فاعلية اللغة واكتناه النص الأدبي، بكل مكوناته اللغوية والصوتية والدلالية.

« فالنص الأدبي مجال واسع من الدلالات، والإشارات اللغوية والصور الفنية، والإيقاعات الموسيقية، وهذه الطاقات الفنية في النص تدل على الشعرية»[2]

1- محمود درابسة: مفاهيم في الشعرية-دراسات في النقد الأدبي القديم- دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2010، ص11.

2- محمود درابسة: مفاهيم في الشعرية، ص12.

فالدراسة الشعرية لا تقتصر على زاوية معينة، وإنّما هي دراسة من جميع زوايا النص: كاللغة، الإيقاع والصورة الشعرية وغيرها.

1/- شعرية اللغة:

تعد اللغة الشعرية عنصرا أساسيا من عناصر الإبداع الشعري، ولها حضورها القوي المتميز في الشعر، وتزداد رونقا وجمالا إذا ما تجاوزت حدودها المعجمية لتشكل نسيجا دلاليا مبدعا، تتوافر فيه عناصر حياتها الثلاثة: «المحتوى العقلي و الايحائي عن طريق المخيلة و الصوت الخالص»[1]

فلكون الكلمة الشعرية أحسن كلمة يجب أن تتوافر فيها هذه العناصر، و يجب أن يكون اتصالها بالكلمات الأخرى اتصالا إيقاعيا بحيث يؤدي هذا التلوين الإيقاعي إلى الغاية المطلوبة.

و إذا كان النقاد القدماء قد صبوا اهتمامهم على عنصرين من عناصر الإبداع الشعري هما: اللفظ و المعنى، و دار نقدهم حول هذين العنصرين و ما يتصل بهما، فان المحدثين منهم الذين اهتموا باللغة الشعرية يرون:«إن الشعر لغة تختلف عن لغة الكلام والحديث العادي، و قد يكون هذا الاختلاف ناشئا من أن الشعر يحرص على لغة أسمى وارفع و أفصح، لغة مختارة لا ابتذال فيها و لا عامية و لا حوشيه و لا غرابة و لا اشتراك في المعاني»[2]

1- عزالدين اسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1992، ص295.

2- محمد زغلول سلام: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة-في القرن الرابع هجري- منشأة المعارف الاسكندرية، مصر، د.ط، 2002، ص59.

إن اللغة كالكائن الحي تنمو و تتطور، و ما تميزها في عصر عن آخر إلا نتيجة لتطور الحياة و تراكم الخبرات، و تختلف لغة شاعرها عن لغة شاعر آخر حتى و لو اجتمعا في عصر واحد و تماثلت مصادر ثقافتهما و بواعث إبداعهما بل إن لغة الشاعر نفسه تختلف من قصيدة لقصيدة باختلاف التجربة الجزئية.

فاللغة غنية بسماتها، و لغة الشعر بدلالاتها و إيحاءاتها أكثر تعبيرا و توضيحا لها، و من ابرز السمات في شعر شعرائنا الإسلاميين الفلسطينيين المعاصرين التي تشي باكتناز شعرهم بالظواهر الفنية و جماليات الإبداع الفني.

لقد كان "محمود درويش" يُلبس الأفكار العظيمة أشكالا بسيطة ليجعلها متواضعة قريبة من الجميع، و هذا جانب من مكونات جماليات لغة " درويش" الشعرية، و هذا يكمن أيضا سر من أسرار إبداع الشاعر الذي يتفجر بالمعرفة و الثقافة و الوعي فهو يملك المقدرة على نقل أدق الأفكار بأسهل الطرق و أجملها، فاللغة عنده انتقلت من لحظة الخطابية؛ و هي الآلية الأكثر شيوعا في الكتابة العربية التقليدية، إلى فسحة التأمل و اليسر و المسائلة و هذا ما يتجلى لنل في قصيدته التي بعنوان: هو "هادئ، و أنا كذلك" فيقول فيها:

أنا لا أقول له السماء اليوم صافية.

و أكثر زرقة

هو لا يقول لي: السماء اليوم صافية.

هو المرئي و الرائي

أنا المرئي و الرائي،

أحرك رجلي اليسرى
يحرك رجله اليمنى،
أدندن لحن أغنية
يدندن لحن أغنية مشابهة
أفكر: هل المرآة أبصر فيه نفسي؟ [1]

نجد في قصيدة "بيت أمي" ألفاظا عديدة تكشف لنا عن مدى ارتباط الشاعر بالذكريات، فهو يحاور آناه .... ذاته المخمورة بمسمار الذاكرة، حيث يقفز خلسة من فوق سور الذكريات إلى حدائق النسيان، إذ يقول فيها :

ولا تكف عن السؤال :
أأنت يا ضيفي ، أنا ؟
هل كنت في العشرين من عمري،
بلا نظارة طبية
وبلا حقائب ؟
قلت : يا هذا أنا هو أنت
لكنني قفزت عن الجدار لكي أرى

1- محمود درويش: ديوان لا تعتذر عمّا فعلت، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2004، ص88.

ماذا سيحدث لو رآني الغيب أقطف

من حدائقه المعلقة البنفسج باحترام ..... [1]

على الرغم من إنغراس أشواك هذه الذكريات في قلبه عندما كان ملتصقا بها إلا أنه لن يتخلى عنها ، فهو حين عاد إلى بيت أمه ورأى صورته وهو في العشرين من عمره ، حاور تلك الصورة وتذكر أيم الشباب فحن إليها .

- <u>التكرار اللفظي :</u>

" إن التكرار اللفظي في النص الشعري يرتبط ارتباطا وثيقا بأبعاد نفسية في وجدان الشاعر، فهو إلى جانب احتضان الموسيقى الداخلية الخفية له [2]، فالتكرار يلح على جهة مهمة في العبارة

يعني بها الشاعر أكثر من عن نيته بسواها" [3]

ففي قصيدة " أتذكر الشباب " يقول محمود درويش :

أتذكر الشباب ، يصرح في الخليج سدى :

" عراق ، عراق ة ليس سوى عراق ....."

ولا يردّ سوى الصدى .

1- محمود درويش: ديوان لا تعتذر عمّا فعلت، ص23، 24.

2- جواد اسماعيل عبد الله الهشيم: الإلتزام في الشعر الاسلامي الفلسطيني المعاصر، رسالة ماجستير، تخصص الأدب والبلاغة والنقد، الجامعة الإسلامية، غزة، 2011، ص192.

3- نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، بيروت، ط3، 1967، ص242.

أتذكر السيّاب ، في هذا الفضاء السومريّ
تغلّبت أنثى على عقم السّديم ،
وأورثتنا الأرض والمنفى معا .
أتذكّر السيّاب .....إن الشعر يولد في العراق
فكن عراقيا لتصبح شاعرا يا صاحبي [1]!

نلمح في هذا المقطع الشعري الحزن والأسى، كما نلمح غزارة الوجدان والعاطفة عند الشاعر الذي يكشف عن عمق التصاقه وتعلقه بالشباب والعراق، وهذا ما يتجلى من خلال تكراره للفظتي : أتذكر الشباب، العراق.

فالتكرار عند " محمود درويش " عنصر فعال في تكوين قصيدته فهو عندما يركز اهتمامه على اسم معين يجعله النقطة المركزية التي تتمحور حولها القصيدة كلها ، كما فعل في قصيدة "أتذكر الشباب" فجعل بذلك شخصية " السيّاب " النقطة المركزية التي تدور حولها القصيدة بأكملها .

2/- شعرية الموسيقى:

أ- الإيقاع:

يكتسي الإيقاع أهمية كبيرة في القصيدة، وهو مرتبط بالتجربة الشعرية بكل ما فيها، ولهذا فهو يعتمد على النشاط النفسي للشاعر، والإيقاع يرتبط باللغة فيكون نوعا من الموسيقى يجمع فيها نغمات القصيدة العالية والمنخفضة ،

1- محمود درويش: ديوان لا تعتذر عمّا فعلت، ص121.

وتتميز قصيدة الشعر الحر وشعر التفعيلة بجملة من الظواهر الفنية المتميزة على مستوى الاستعمال الموسيقي أو على مستوى البنية الإيقاعية ، وهي بطبيعة الحال لا تمثل الانقطاع موسيقيا على البنية الإيقاعية الموروثة للقصيدة التقليدية بقدر ما تمثل تطور لأدائها وتعديلا في مساراتها حسب ما تقتضي التجربة الفنية الجديدة التي تطرحها قصيدة الشعر الحر .

إن هذا النوع الشعري،أي أن (الشعر الحر) له موسيقاه وأوزانه الخاصة به والتي ليست جديدة بل مشتقة من أوزان "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، والشعر يقوم على تفعيلة واحدة تتكرر حسب الحالة النفسية والدقة الشعورية للشاعر، إذ يمكن للتفعيلة أن تتكرر عدة مرات في الشطر الواحد ، ويمكن أن تنفرد لوحدها في الشطر، إذا فالشعر الحر لم يتخل عن الوزن والموسيقى الخليلية بل حافظ على تفعيلاته، فتحرر من الخضوع ليحرره وأقام لنفسه أوزانا حسب حالته النفسية، وهذا يظهر لنا من خلال قصيدة لا تقدر عما فعلت " محمود درويش " التي نظمتها على بحر الرجز فيقول :

لا تعتذر عما فعلت – أقول في
سرّي ، أقول لآخري الشخصي :
هاهي ذكرياتك كلّها مرئية
ضجر الظهيرة في نعاس القطّ /

عرف الديك /

عطر المريمية /

قهوة الأمّ [1]

إن الإيقاع هو من يختار " درويش " كما تقول القصيدة :

يختارني الإيقاع ، يشرق بي ،

أنا رجع الكمان ، ولست عازفة

أنا في حضرة الذكرى

صدى الأشياء تنطق بي

فأنطق ... [2]

إن هذه الإيقاعية هي التي ترسم معالم الغنائية في قصائد " محمود درويش " ذات الملمح الرومانسي ، إذ تعد مدخلا هاما من مداخل الحوار وخصوصا الحديث عن حوار الذات .

ب- القافية :

تعتبر الجناح الثاني للموسيقى الخارجية، غني بها الشعراء لما لها من أهمية إيقاعية في الشعر، وتشكل القافية مع الوزن الإطار العام لموسيقى الشعر فلا حياة لأحدهما دون الآخر.

1- ديوان لا تعتذر عمّا فعلت، ص25.

2- المصدر السابق، ص15.

فالقافيــة بمثابــة الفرامــل الموسـيقية التــي يتوقــع الســامع ترددهــا ويســتمتع بمثــل هــذا التردد الذي يطرق الأذن في فترات زمنية منتظمة.

وقـد حاولـت القافيـة الجديـدة أن تجعـل حـرف الـروي حرفـا متـنقلا قـد ينتقـل مـن شـطر إلى آخر، وقد يتفق وفقا لما يحتاجه الإطار الموسيقي العام للشطر.

فمثلا نجد في قصيدة " لا تعتذر عما فعلت " لدرويش التي يقول فيها ;

ضجر الظهيرة في نعاس القط

عرف الديك

عطر المريميّة

قهوة الأم

الحصيرة والوسائد [1]

نلاحــظ فــي هــذا المقطــع الشــعري ، أن الشــاعر اســتعمل فــي الشــطر الأول ثــلاث تفعـيلات ، وفـي الثـاني تفعيلتـين ، وهـو نفـس الشـيء مـع الشـطين الثالـث والرابـع ، وهـذا التنـوع فـي عـدد التفعـيلات مـن شـطر إلـى آخـر يعـود فـي الأسـاس إلـى الحالـة النفسية والشعورية للشاعر .

1- المصدر السابق، ص25.

ج- الوزن:

يلعب الوزن دورا هاما في تغيير الكلمة الشعرية وإثارة جوانب القوة والجمال فيها ، من خلال وحدات صوتية أو أجزاء معينة من التفعيلة ، ويعرف الناقد غنيمي هلال : « الوزن بأنه عبارة عن وحدات صوتية معينة يرمز إليها في علم العروض بالمتحرك والساكن وتقوم على أساس التفعيلة التي تتكون بدورها بعدد آخر من التفعيلات أو البحر»[1]

فأساس الوزن في الشعر الحر يقوم على وحدة التفعيلة التي تعد أيضا أساس النظام الصوتي الذي يقوم الشاعر بتكراره من شطر إلى آخر ، فالتفعيلة ليست صوتا مفردا ، بل هي أعداد صغيرة من الأصوات ينظم بعضها إلى بعض في نسق معين واختلاف هذا النسق هو سبب اختلاف التفعيلات ، وهذا ما يتجسد لنا من خلال قصيدة ، لا تعتذر عما فعلت لمحمود درويش التي يقول فيها :

لا تعتذر عمّا فعلت – أقول في
سرّي ، أقول لآخري الشخصي
هاهي ذكرياتك كلها مرئية
ضجر الظهيرة في نعاس ، القط
عرف الديك [2]

1- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، لبنان، دط، 1997، ص380.

2- محمود درويش: ديوان لا تعتذر عمّا فعلت، ص25.

مستفعلن مستفعلن متفعل فعل

مستفعلن مفاعلتي مستفعل

مستفعل متفعل مستعل مستفعلن

متفاعلن متفاعلن مستفعل

فاعل فاعل

اعتمد "محمود درويش" في هذه القصيدة على بحر الرجز الذي مفتاحه :

في أبحر الارجاز بحر يسهل مستفعلن مستفعلن مستفعلن

إذ نلاحظ في هذا المقطع الشعري خضوعه لزحافات و علل؛ ففي الشطر الأول نجد أن تفعيلة "متفاعلن" التي هي أصل التفعيلة قد طرا عليها تغيير فأصبحت: متعل/فعل، و هذا ما يتكرر لنا في باقي أشطر القصيدة.

إن اعتماد الشعراء في نظم الشعر على "البحور الصافية" أيسر لهم من نظمه على "البحور المزدوجة"، وذلك لان وحدة التفعيلة تضمن حرية اكبر للشاعر.

3/- <u>شعرية الصورة:</u>

تعد الصورة الشعرية من أهم الوسائل القيمة و الجوهرية التي يعتمد عليها الشاعر في نقل التجربة الشعرية بعد الإيقاع، حيث أنها أداة النقل و الإيحاء و البديل الأقوى عن التعبير المباشر، حيث تعتبر في الشعر المعاصر المهمة، إذ يرى النقاد المعاصرين أن الصورة الشعرية تعتمد على ركيزتين أساسيتين هما:

الخيال و اللغة؛ فإذا كان الخيال هو لب المحاور الفنية فان اللغة هي الأداة و الوسيلة التي تشكل عناصر الصورة و الإتيان بعلاقة لغوية جديدة و التحرر من العلاقات القديمة و ذلك كله يخضع لموهبة الشاعر الفنية و سعة الاطلاع.

و قد وردت في القران الكريم لفظة "صورة" بمعنى الخلق، قال تعالى:﴿ الذي خلقك فسواك فعدلك (7) في أي صورة ما شاء ركبك (8) ﴾.

و في قوله تعالى أيضا:﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم (6) ﴾.

و الصورة في الفن « تعني أحد الطرق التي يلجأ إليها الفنان لتجسيم تجربته حيث يقتنص أجزاء و عناصر من الوجود و يكون بينهما علاقات هي الخليط الذي يربط القصيدة أو ما يسمى بالوحدة العضوية التي تنسق الوجود».[1]

في الصورة الشعرية تركيب لغوي لتصور معنى عقلي و عاطفي متخيل لعلاقة بين شيئين يمكن تصويرهما بأساليب عدة: إما بالمشابهة أو التجسيد أو التشخيص ...إلخ.

و الصورة الشعرية عند "محمود درويش" فهي بديعة، ترفض اللغة السائبة، كما يرفض الصور التي لا يمكن لأحد أن يفهمها أو يستوعبها لذلك فـ"درويش" يعتبر الصورة تركيب من العناصر الداخلية و الخارجية، التي تنبع من وجدان الشاعر و خياله.

سورة الانفطار: الآية 7، 8.

سورة آل عمران: الآية 6.

1- عبد الكريم شبرو: التجربة الشعرية عند أبي قاسم سعد الله، مذكرة ماجستير، تخصص أدب عربي حديث، باتنة، 2007/2006.

أ/ التشبيـــــه:

مـن المعـروف أن النقـد العربـي القـديم كـان يعطـي أهميـة للتشـبيه، فقـد كـان النقـاد العـرب يـرون فـي التشـبيه جانبـا مـن شـرف كـلام العـرب و فيـه تتكـون الفطنـة و البراعة، لذا جعلوه مقياسا يعرف به البلاغي.

فـإذا وقفنـا عنـد مفهـوم التشـبيه وجـدناه يعنـي «صـورة تقـوم علـى تمثيـل شـيء (حـي أو مجـرد) بشـيء أخـر (حـي أو مجـرد) لاشـتراكهما فـي صـفة (حيـة أو مجـردة) أو أكثر»[1].

و ينقسـم التشـبيه إلـى أقسـام: التشـبيه المرسـل، التشـبيه المؤكـد، التشـبيه المفصـل، التشبيه المجمل و التشبيه البليغ، بالإضافة إلى أنواع أخرى من التشبيه.

و يعـد التشـبيه مـن أكثـر الصـور البيانيـة اسـتعمالا، خاصـة عنـد التحييـق فـي الخيـال إلـى عـوالم أوسـع لنقـل التجربـة الشـعرية و كـذا عنـد توظيـف مصـادر و عناصـر الطبيعة أو الأسطورة توظيفا رمزيا،

ممـا يجعـل الشـاعر مضـطرا إلـى هـذا اللـون مـن البيـان، ذلـك لان اللغـة العاديـة (الحقيقيـة) تقـف فـي كثيـر مـن الأحيـان عـاجزة عـن نقـل المشـاعر الدافقـة، و قـد اسـتعمل "محمـود درويـش" التشـبيه فـي بنائـه للصـورة الشـعرية، فيقـول فـي قصـيدة "بغيابها كونت صورتها":

1- يوسـف أبـو العـدوس: التشـبيه والاسـتعارة، دار المسـيرة للنشـر والتوزيـع، عمّـان، الأردن، ط1، 2007، ص15.

كأني قطعة أثرية

كأني شبح تسلل من يبوس[1].

ينقل "محمود درويش" من خلال الشطر الأول صورة شعرية في غاية الجمال، حيث يتداخل الخيال مع التشبيه، فشبه الشاعر نفسه بقطعة أثرية؛ فذكر أداة التشبيه (كأن) كما ذكر المشبه به (القطعة الأثرية) و ذكر المشبه (ياء النسبة) و حذف وجه الشبه، و هو تشبيه مرسل مجمل*.

ب/ <u>الإستعارة:</u>

تعد الاستعارة فنّا من الفنون البلاغية التي حظيت باهتمام الكثير من النقاد العرب القدامى، كما تعد أول أبواب البديع و أفضل المجاز و أحسن الكلام و أعذبه، و هي نقل صفة شيء من فرد إلى فرد و علاقتهما المشابهة بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي، و يعدها البعض "تشبيه" حذف احد أطرافه، لها قرينة تمنع من ظهور المعنى الحقيقي و قد تكون لفظية أو حالية، كما تعد الاستعارة أداة للتجسيد.

1/ <u>مفهوم الاستعارة:</u>

لغة:« رفع الشيء و تحويله من مكان إلى آخر»[2].

كقول "الحجاج" من خطبته في أهل العراق:«إني لأرى رؤوسا قد أينعت و حان قطافها و إني لصاحبها»[3].

1- محمود درويش: ديوان لا تعتذر عمّا فعلت، ص49.

*** هو ما حذف وجه الشبه، وأبقى على: أداة التشبيه، المشبه والمشبه به.**

2- عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، ص167.

3- المرجع نفسه، ص178.

اصطلاحا: عرفها عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة:«هي الجملة التي يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على انه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، و ينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية»[1].

2/ <u>أنواع الاستعارة:</u>

تنقسم الاستعارة إلى نوعين هما:

- **استعارة مكنية.**
- **استعارة تصريحية.**

و في ديوان:"لا تعتذر عما فعلت" لمحمود درويش قصائد حافلة بالاستعارة بشقيها: المكنية و التصريحية، فمثلا في قصيدة "أتذكّر السياب" التي يقول فيها:

أتذكر السياب.....إن الشعر يولد في العراق[2].

استعارة مكنية؛ حيث شبه الشعر بالإنسان الذي يولد و يخرج من رحم أمه، فحذف المشبه به "الإنسان" و أبقى على لازم من لوازمه "الولادة".

كما نجد قوله " سقط الحصان عن القصيدة"

زوجا يمام أبيضان

يتسامران على غصون سنديان[3].

1- عبد القادر الجرجاني: أسرار البلاغة (موسوعة علوم اللغة)، ص22.

2- محمود درويش: ديوان لا تعتذر عمّا فعلت، ص121.

3- المصدر السابق، ص37.

استعارة مكنية، حيث شبّه اليمامتان بالانسان الذي يتسامر مع غيره، فحذف المشبه به "الانسان" وابقى على لازم من لوازمه وهو فعل "التسامر".

ج/ الرمز:

الرمز هو أسلوب أدبي جديد لاقى قبولا كبيرا خلال العصر الحديث والمعاصر الى جانب الأسطورة، اعتمد عليه الشعراء في قصائدهم فكان بذلك ملجأهم وأساس ابتكاراتهم،ففي عصر طغى عليه الجور والتعسف وانقلابات وهجومات وغياب الحرية، وكبلت الأفكار بسلاسل حديدية لا يجرأ أحد على فكّها وإلا نال الموت المحقق فكانت الكلمة الاولى والأخيرة لأصحاب السلطة والسياسة، الامر الذي دفع بالشعراء الى ابتكار اسلوب جديد يمكنهم من ايصال رسائلهم وافكارهم دون خوف او هلع، فكان لهم ما أرادوا عن طريق "الرمز".

1/ مفهوم الرمز:

الرمز هو « كل إشارة أو علامة محسوسة، تذكّر بشيء غير حاضر ووظيفة الرمز هي إيصال بعض المفاهيم إلى الوجدان بأسلوب خاص لاستحالة إيصالها بأسلوب مباشر مألوف، وقد يكون الوسيلة الوحيدة المتيسرة للإنسان في التعبير عن واقع انفعالي شديد التعقيد»[1].

والرمز في الحقل الأدبي هو: « الإشارة بكلمة تدل على محسوس او غير محسوس، إلى معنى غير محدد بدقة، ومختلف حسب خيال الأديب، وقد يتفاوت

1- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص123.

القـرّاء فـي فهمـه وإدراك مـداه، بمقـدار ثقـافتهم، ورهافـة حسـهم، فيتبنّـى بعضـهم جانبـا منـع وآخـرون جانبـا ثانيـا، أو قـد يبـرز للعيـان فيهتـدي إليـه المثقـف بيسر»[1].

فـالرمز إذا وسـيلة مـن وسـائل التعبيـر المعاصـرة، واسـتخدامه لهـذه التقنيـة مـا هـو الاّ دليل على مدى عمق ثقافة الشاعر وسعة اطّلاعه.

2/ أنواع الرمز:

استخدم الشعراء أنواعا مختلفة من الرموز ومن هذه الأنواع نجد:

أ/ الرمز التاريخي: ويعني به استحضار الشخصيات التاريخية.

ب/ الرمـز الأسـطوري: وهـي رمـوز مسـتوحاة مـن أسـاطير الأمـم المختلفـة كاليونانيـة، الكنعانيـة، الفينيقيـة.....الـخ ومـن ابـرز هـذه الرمـوز: تمـوز، عشـتار، العنقاء.

ج/ الرمـز الـديني: هـي تلـك الرمـوز المسـتوحاة مـن الكتـب السـماوية كـالقرآن، التوراة، ومثال ذلك "المسيح"، "أيوب".....الخ.

يعـدّ الرمـز مـن أكثـر الأسـاليب اسـتعمالا فـي الشـعر الفلسـطيني خاصـة بعـد نكبـة 1967، ومـن بـين الشـعراء الـذين وظفـوا الرمـز فـي أشـعارهم نجـد "محمـود درويـش"، ففـي قصـيدة "وأنـا وان كنـت الأخيـر"، نجـد ان الشـاعر يوظـف الرمـز الديني "المسيح" فيقول:

1- المصدر السابق، ص124.

وسوف احمل للمسيح حذاءه الشتوي

كي يمشي، ككل النّاس،

من أعلى الجبال.....إلى البحيرة[1]

فلفظة "المسيح" في هذا المقطع الشعري يرمز الى الفكر الديني والخلاص الجديد للإنسانية، «ولا شك أن التراث الديني المسيحي بما يحويه من عذابات الصّلب ومفاهيم التضحية والفداء غني بالإيحاءات والرموز الشعرية المتناغمة مع عذابات الفلسطيني وهمومه وتضحياته»[2]

فالمعاناة التي مرّ بها المسيح هي نفس المعاناة التي مرّ و يمرّ بها المقاتل الفلسطيني اليوم، فكلاهما يصل ذروة العطاء والموت من اجل ان يمتلك المعجزة، والمعجزة في الحالتين هي الخلاص للآخرين.

كما نجده في قصيدة "سيجيء يوم آخر" التي يقول فيها:

الماضي، يسيل الماء من ضرع الحجارة

لا غبار، ولا جفاف، ولا خسارة

والحمام ينام بعد الظهر في دبابة

مهجورة إن لم يجد عشا صغيرا

في سرير العاشقين.....[3]

1- محمود درويش: ديوان لا تعتذر عمّا فعلت، ص22.

2- ناصر لوجيشي: الرمز في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث، اربد الاردن، دط، 2011، ص74.

3- محمود درويش: ديوان لا تعتذر عمّا فعلت، ص20.

يرمز الحمام في هذا المقطع الشعري الى الحياة والبقاء، فالرمز هو سمة النّص ولبن السياق لأنه يدخل القارئ والباحث في الغوص في النص الشعري ومضمونه.

د/ القناع:

مفهوم القناع:

لغة: تدل كلمة "القناع" على معان متعددة حسب المعاجم والكتب اللغوية، جاء في لسان العرب لابن منظور القناع «ما تتقنّع به المرأة من ثوب تغطي رأسها ومحاسنها. وألقى عن وجهه قناع الحياء، على المثل.

وقنّعه الشيب خماره إذا علاه الشيب، وقال الأعشى:

وقنّعه الشيب منه خمارا

وربما سموا الشيب قناعا لكونه موضع القناع من الرأس»[1]

اصطلاحا:

«وسيلة فنية يستخدمه الشاعر المعاصر للتعبير عن تجاربه بطريقة غير مباشرة، وهو وسيلة للتخفيف من حدّة الغنائية والمباشرة»[2]

فالقناع بذلك وسيلة للتعبير عن آلام وآمال الشعراء كنتيجة لدوافع فنية، سياسية واجتماعية التي قد تختلف من شاعر إلى آخر.

1- ابن منظور: لسان العرب، دار صبح واد يسوفت، بيروت، لبنان، ط1، ج11 ، باب القاف(مادة قنع) ص293.

2- خليل الموسى: بنية القناع في القصيدة العربية المعاصرة، مجلة الموفق الأدبي، دمشق، العدد336 ، 1999.

للقناع حضور كبير في الشعر العربي المعاصر، وقد تحوّل الى ظاهرة فنية لها دواخلها ودلالاتها وأشكال تجلياتها، وقد تفوت الشعراء في تقنية القناع وفي طريقة توظيفه.

ومن بين الشعراء الذين عرفوا بتوظيفهم لهذه التقنية نجد "محمود درويش"، فمثلا في قصيدة " إن عدت وحدك" يرد اسم "أبو تمام" فيقول "درويش":

إن عدت وحدك، قل لنفسك:
غيّر المنفى ملامحه:
ألم يفجع أبو تمام وحدك
حين قابل نفسه:
«لا أنت أنت
ولا الديار هي الديار»[1]

ما كان "محمود" يستحضر "أبا تمام" في شعره من قبل، حتى إذا ما مرّ بتجربة تشبه التجربة التي دفعت "بأبي تمام" الى أن يقول:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى وما الحبّ إلاّ للحبيب الأوّل
كم منزلا في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأوّل منزل[2]

1- محمود درويش: ديوان لا تعتذر عمّا فعلت، ص31.
2- ديوان أبو تمام الطائي: تح محي الدين الخيّاط، نظارة المعارف العمومية الجليلة، دط، دت، ص457.

كما نجده في قصيدة "أتذكّر السيّاب" يستدعي درويش شخصية "حواء" بصفتها لا باسمها، ويأتي هذا الاستدعاء في جزء من القصيدة فيقولك

.....، في هذا الفضاء السومري

تغلّبت أنثى على عقم السديم

وأورثتنا الأرض والمنفى معا[1]

نلاحظ في هذه القصيدة أنّ الصوت البارز في هذا المقطع الشعري هو صوت الشاعر باعتباره من يتولى رواية حكايتنا عن أمن حوّاء التي أورثتنا المصير الدرامي الحزين لتجربة الوجود المتمثلة في ثنائية الحياة والغربة.

هـ/ الأسطورة:

تعد علاقة محمود درويش بالأساطير قديمة قدم تجربته الشعرية ذاتها، فالأساطير عنده «هي وعي أسطوري، أي أنها إحساس تتجمع فيه المتناقضات بما فيها من مضامين وأزمنة وأمكنة.وما إن تصل نقطة التجمع هذه حتى تسير في دهليز الإبداع، ولا تخرج منه إلا وقد اكتسبت إيقاعا جديدا في مضمونه وزمانه ومكانه»[2]

فثقافة درويش الأسطورية عميقة إلى الحد الذي استطاع معه أن يستوعب تلك الأساطير ويحوّلها في بنيته النصية لتصبح جزء أساسيا منها، إذ نجده يوظف "أسطورة البعث" في قصيدته التي بعنوان: "لا كما يفعل السائح الأجنبي" إذ يقول:

1- محمود درويش: ديوان لا تعتذر عمّا فعلت، ص121.

2- مجلة جامعة دمشق، المجلد26، العدد الأوّل والثاني، 2010.

وفتاة على العشب تسأل طيفا:
لمـــاذا كبـــرت ولم تنتظرنـــي
يقـــول لها: لم أكن حاضرا
عندما ضاق ثوب الحرير بتفاحتين
فغنّي، كما منت قبل قليل ، تغنين
لو كنت أكبر، لو كنت أكبر...../
أمّا أنـــا، فسأدخل في شجرة التوت
حيث تحوّلني دودة القز خيط حرير،
فأدخل في إبرة امرأة من
نساء الأساطير،
ثم أطير كشالٍ مع الريح.....[1]

لقد استعار الشاعر "محمود درويش" الملامح الأسطورية من شخصية "تموز" واحتمى بها لتساعده على الاحتفاظ بتوازنه النفسي وعدم الانكسار أمام الإحساس بتقدم السّن وقرب النهاية، فقرر أن يدخل في شجرة التوت ليكون روح النبات مثل "تمّوز" فتحوّله دودة القز إلى خيط حرير ويدخل في إبرة امرأة من نساء الأساطير فتعيد بعثه وتكوينه من جديد. ولذلك عدّ "محمود درويش" من الشعراء التمّوزيين.

1- محمود درويش: ديوان لا تعتذر عمّا فعلت، ص137.

كما وظّف "محمود درويش" أسطورة "العنقاء"*، وهي عبارة عن طائر خرافي عندما يوشك على الموت يحرق نفسه حتى يصبح رمادا، ثم ينبعث من جديد من ذلك الرماد في شكل عنقاء شابة.

« ومحمود درويش الذي يبحث عن ملاذه وتوازنه النفسي في الأسطورة، فأراد أن يكون كالعنقاء وأن يظلّ شبابه متجددا ليعيش الحاضر ويحب المرأة التي يريدها»[1]، لكنّه حين اصطدم بالواقع وعرف أنه لا يمكنه أن يكون كالعنقاء شعر أن قلبه فائض عن حاجته، فما حاجته إلى قلب لا يحق له أن يحبّ به المرأة التي يريدها، لأنه صار منذورا للموت بعد أن تجاوز الستين من عمره وأحس أنّه لو تجاهل تقدمه في السنّ وأحبّ فإنّ ذلك سيكون نوعا من الفكاهة لذلك تمنى أن يصبح حجرا قديما حتى لا يشعر بالحبّ مرة أخرى، وتمنى أن يصبح للحاضر مكان في حياته، إذ يقول في قصيدة "هي جملة اسمية":

هي جملة اسمية: لا فعل
جريح كالغروب على شبابيك الغريبة
زهرتي خضراء كالعنقاء. قلبي فائض
عن حاجتي، متردد ما بين بابين:
الدخول هو الفكاهة، الخروج هو

---

* أصل الاسم عربي، ويطلق على هذا الطائر في التراث العربي اسم "عنقاء مغرب"،والعنقاء حيوان نصفه نسر ونصفه الآخر أسد.

1- مجلة جامعة دمشق، المجلد26، العدد الأوّل والثاني، 2010.

المتاهة. أين ظلي- مرشدي وسط
الزحام على الطريق الى القيامة؟ ليتني
حجر قديم داكن اللّونين في سور المدينة
كستنائي وأسود، طاعن في اللاشعور
تجاه زوّاري وتأويل الظلال. وليت
للفعل المضارع موطئا للسير خلفي
أو أمامي، حافي القدمين[1]

إن أسطورة العنقاء ترتبط عند "محمود درويش" بالحنين إلى الشباب والوطن. كما هو الحال في قصيدة "في بيت أمي" حين رأى صورته في العشرين من عمره، فحنّ إلى أيام الشباب وشعر أنّ قلبه مثقوب بريشة العنقاء، إذ يقول:

أتذكر حافر الفرس الحرون على جبينك
أم مسحت الجرح بالمكياج كي تبدو
وسيم الشكل في الكاميرا؟
أأنت أنا؟ أتذكر قلبك المثقوب
بالناي القديم وريشة العنقاء؟
أم غيّرت قلبك عندما غيرت دربك؟[2]

1- محمود درويش: ديوان لا تعتذر عمّا فعلت، ص93، 94.

2- المصدر نفسه، ص24.

يؤكد محمود درويش في هذه القصيدة أنّه استطاع أن يحدد معالم ذاته الجديدة خاصة في التساؤل الظاهر في آخر قوله.

خاتمـــة

خاتمة:

يعتبر الشاعر "محمود درويش" من الأصوات الشعرية التي قدمت خطابا متميزا، ورؤية فنية عميقة عبر مسيرة طويلة نافذة ومتخففة، كما يعتبر شعره واحدا من بين أهم المصادر التي تحتفي بتجربة الشاعر العربي بصورة أكثر تخصيصا وشمولا في الشعر الحر، لذا نجد أنّ شعره قد امتاز بجملة من الخصائص لعل أبرزها:

- إحياء القضية الفلسطينية وجعلها مستمرة، وهذا من خلال توظيف الموروث الشعبي الفلسطيني في القصيدة.
- إدخال الكثير من الرموز والأساطير ومصطلحات العصر نتيجة الاحتلال الصهيوني، فكان ذلك شاعر المقاومة والثورة.
- التلحين والطرب:

اهتم "محمود درويش" كثيرا بعنصر الإيقاع، واستفاد كثيرا من استلهامه للتراث في تطوير نصوصه، مما فتح آفاقا جمالية متجددة على الدوام، فقد غنّى صديقه "مارسيل خليفة" العديد من أشعاره.

- سهولة حفظها، بالرغم من صعوبة حفظ قصيدة الشعر الحر مقارنة بالقصيدة القديمة.
- إن "محمود درويش" في كثير من قصائده لا يحدد معنى رموزه مسبقا، بل يدع القارئ يكتشف هذه الرموز وهذا عن طريق خلق حياة جديدة في النص.
- تميزت لغة "محمود درويش" بالبساطة والسهولة والإيحاء في نفس الوقت.

- اهـتم الشـاعر بالبحـث عـن الأسـاطير فـي التـراث الإنسـاني المتنـوع كالأسـاطير البابلية والفرعونية والمسيحية والعربية.

وفـي الأخيـر يمكـن القـول بـأنّ النتـائج المتوصـل إليهـا هـي نتـائج أوليـة نسـبية وغيـر نـهائية ويبقى المجال مفتوحا للدراسة والبحث حول هذا الموضوع.

قائمة المصـــادر والمراجـــع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

المصادر:

- محمود درويش: لا تعتذر عمّا فعلت، رياض الريس. للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط2، فبراير، 2004.

المراجع:

1/ ابن منظور: لسان العرب، دار صبح واديسوفت، بيروت، لبنان، ط1، ج11.

2/ أبو تمام الطائي: تح محي الدين خيّاط، نظارة المعارف العمومية الجليلة، د ط، د ت.

3/ جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979 .

4/ عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1992.

5/ عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

6/ محمود الشيخ: الشعر والشعراء، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط4، 2007.

7/ محمد نمر مصطفى: محمود درويش- الغائب الحاضر- وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، ط1، 2010.
8/ محمود درابسة: مفاهيم في الشعرية- دراسات في النقد الأدبي القديم – دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2010.
9/ محمد زغلول سلام: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة – في القرن الرابع هجري – منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، د ط، 2001.
10/ محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، لبنان، د ط، 1997.
11/ نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، بيروت، لبنان، ط3، 1967.
12/ ناصر لوحيشي: الرمز في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، د ط، 2011.
13/ يوسف أبو العدوس: التشبيه والإستعارة، دار الميسرة للنشر، عمّان، الأردن، ط1، 2007.

الرسائل الجامعية:

1/ عبد الكريم شبرو: التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، أدب عربي حديث، باتنة، 2007/2006.

2/ جواد اسماعيل عبد الله الهشيم: الإلتزام في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب والبلاغة والنقد، الجامعة الإسلامية، غزّة، 2011.

المجلات:

1/ مجلة جامعة دمشق – المجلد 26 – العدد الأول والثاني، 2010.

2/ مجلــة الموقــف الأدبــي، اتحــاد الكتــاب العــرب، دمشــق – العــدد 336 – 1999.

الموقع الإلكتروني:

محمد الكلاف: قراءة في ديوان "لا تعتذر عمّا فعلت"، 7 جانفي 2014

http://www.alnoor.se/article

فهـــرس
الموضوعـــــات

فهرس الموضوعات:

مقدمة.....1

I/ الفصل الأول:

1/ محمود درويش:

ت- ميلاده.....4

ث- تعليمه 4

ح- حياته 5

د- جوائزه وتكريماته 6

ي- مؤلفاته 7

أ- وفاته 9

2/ عرض ديوان " لا تعتذر عما فعلت " 11

II/ الفصل الثاني : دراسة شعرية:

1/ شعرية اللغة: 19

- التكرار اللفظي 22

2/ شعرية الموسيقى: 23

أ- الإيقاع 23

ب- القافية 25

ج – الوزن 27

3/ شعرية الصورة: 28
أ- التشبيه 30
ب- الاستعارة 31
ج – الرمز 33
د- القناع 36
هـ- الأسطورة 38
خاتمة 44
قائمة المصادر والمراجع.....47
فهرس الموضوعات.....59